Article

CC BY NC

ISSN 2831-5049
Vol. 4, No. 1, 2025, p.99-126
journal.maqasid.org
DOI: 10.52100/jcms.v4i1.164
Received : Nov 14th 2024
Revised : Dec 30th 2024
Accepted : Jan 1st 2025

التزكية المفهوم والأبعاد

Emad Muhammad Abdulah
The International Islamic University, Egypt
emamna54@gmail.com

Abstract

Tazkiyah (purification) is a key objective of divine revelation and a primary mission of prophets. It represents the essence of human existence and the path to success in this world and the hereafter. Central to human development, *Tazkiyah* engages all dimensions spiritual, intellectual, emotional, and behavioral—following a divine methodology characterized by balance, integration, and continuity. This paper explores the concept through divine revelation, highlighting its essence, dimensions, and functions. It identifies *Tazkiyah* as a governing principle aimed at purifying and elevating individuals and communities, preparing humanity for civilizational development and stewardship. The study recommends practical activation through *da'wah* and educational initiatives, supported by actionable methodologies for real-world application.

Keywords : Tazkiyah; education; behavior; revelation; balance; comprehensiveness.

الملخص

تعد التزكية من أهم المقاصد العليا والحاكمة للوحي ومن مهام ووظائف الرسل والأنبياء فهي غاية الوجود الإنساني وبها الفلاح في الدنيا والآخرة، فموقعها محوري حيث التعامل الأمثل مع الإنسان بكل مكوناته وفق المنهج الإلهي لترتقي به روحياً وفكرياً ونفسياً ووجدانياً وسلوكياً، وتتميز بالشمول والتكامل والتوازن والتدرج والدوام والاستمرار. تحاول الورقة معالجة المفهوم من خلال عرضه على الوحي وبيان جوهره، والوقوف على أهم أبعاده ووظائفه، وتسعى لبيان أدبياته في التراث والمعاصرة. وخلصت إلى أن كون المفهوم مقصد أصيل وحاكم للوحي يسعى للتطهير الذات الإنسانية ورقيها، وأن له أبعاده ووظائفه حيث البعد الفردي والجماعي وصولاً إلى بعد الأمة والإنسانية لتأهيلها لتحقيق العمران والاستخلاف. كما أوصت الورقة بتفعيل المفهوم من خلال المسارت والمناشط الدعوية والتربوية والعمل على التأطير والتنظير للمفهوم في صورة مناهج وبرامج قابلة للتطبيق والتنزيل في الواقع المعيش.

Corresponding Author
Name : Emad Muhammad Abdullah
Email : emamna54@gmail.com

الكلمات المفتاحية: التزكية؛ التربية؛ التصوف؛ الوحي؛ التوازن؛ الشمول.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فإن للتزكية أهمية كبرى: كونها مقصداً من المقاصد العليا والحاكمة للوحي، ولا يمكن الاستغناء عنها، فهي روحه وثمرته وهدفه وغايته، وهي للإنسان بمنزلة الغذاء والهواء والماء، لتكوينه من المادية والروحية، ولكل واحد منهما طبيعته واحتياجاته ومتطلباته، فإذا تغلب أحدهما على الآخر وقع الخلل، وهذا ما نراه في الواقع المعيش، والمفهوم يقيم التوازن بينهما، فيعطي كل ذي حق حقه، وهو بدوره يعين على معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده ومحبته، وتحقيق شريعته، وجعل الإسلام منهج حياة لا مجرد معارف وثقافات، فهو تهذيب وتربية، وعلم وعمل، ومعرفة وسلوك، وهو الطريق الحقيقي للاستخلاف وتحقيق العمران.

وقد تضافرت مجموعة من الدوافع والأسباب تجعل هناك ضرورة ملحة لهذه الدراسة ولعل أبرزها: حاجة الواقع المعيش لرؤية واضحة المعالم عن التزكية ومفهومها ووظائفها وأبعادها، وهذا بدوره يعصم من الانحراف غلواً وتفلتاً أوإفراطاً وتفريطاً، ضعف الكتابة في الجانب الروحي فلم يلقى التفصيل كغيره من العلوم والمعارف، فهو مغمور وإذا تم تناوله يكون بصورة مشوشة أوضيقة تفتقد التكامل والتوازن، فيحتاج إلى بسط وبيان من خلال الوحي والهدي النبوي، وفقه الراسخين في العلم من الربانيين والورثة الكاملين، للمفهوم ثراث لا يمكن الاستغناء عنه، كما لا يمكن الاستغناء عن تراثنا الفقهي، ففيه معاني يندر وجودها في عالمنا المعاصر، لكونها في غاية العمق والنفاسة، فكيف يغفل عنه؟ وهو بمثابة الكنز الذي يحتاج إلى من ينقيه ويصفيه، ويزيل عنه ما أصابه من انحرافات وتشوهات، محاولة العودة بالمفهوم إلى الدور الرائد وهو النهوض بواقع الأمة ومواجهة التحديات والعقبات المعاصرة خاصة ونحن في زمن الخواء الروحي والعولمة والتي تريد أن تجتث القيم والمبادئ وتفصل الأمة عن وحيها وتاريخها ودينها وقيمها.

Copyright © 2025 JCMS

وتكمن مشكلة الدراسة في :قلة الكتابة المتوازنة والمتكاملة والمحررة القائمة على النظرة الكلية للوحي، فأغلب من تناولوه جعلوه علماً خاصاً، رغم أنه لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال لكونه ضابط للروح والجسد والفكر والسلوك، إصابة المفهوم بمجموعة من الإشكاليات والانحرافات والشطحات فأحياناً تجد مفاهيم وأذواق ومواجيد بعيدة عن الوحي وكأنه علم مستقل قائم بذاته إلهامي لدني له قوة التأطير والتنظير والتشريع.

لذا حآن وقت إكمال المسيرة التجديدية حتى تناسب الواقع المعاصر، ويعود إلى الينبوع الصافي والمورد العذب، فهو يحتاج إلى مراجعات نقدية رصينة سواء الموروث منه والمعاصر بعيداً عن الإفراط والتفريط، والألغاز والطلاسم والشطحات، والمعاني الغريبة البعيدة عن الوحي وعلومه، لأن بعض من كتبوا فيه تصوراتهم قاصرة ومفاهيمهم ضيقة يعيشون بعيداً عن طبيعة عصرهم ومتطلباته، وعن بدهيات الوحي، فبقائه قاصر عليهم يعني تعطيل وظيفته ووجود أجواء غير صحية لا تحقق أهدافه ومراميه.

فتحريره يوصل إلى رؤية واضحة وشاملة ينبني عليها فهم صحيح وسلوك قويم، وكما قال الشيخ الغزالي في مقدمة كتابه: (الجانب العاطفي في الإسلام): كم تحتاج مواريثنا الثقافية إلى جهاد كبير؟ كي تتجرد من الظنون والأوهام التي علقت بها وتعود إلى السمات المأثورة عن كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهي سمات الحق واليقين، فيما تتناول من قضايا، أو تصدر من أحكام.

والمفهوم له جذوره القديمة ألفت فيه دراسات وكتابات عديدة ومتنوعة، فنجد في القديم الأئمة العظام الأفذاذ أمثال: الجنيد، والمحاسبي، والقشيري، والغزالي، والجيلاني، وابن عطاء الله السكندري، ابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي الغرناطي، وزروق الفاسي، وغيرهم.

وفي الحديث نجد أبرز المهتمين: الشيخ:عبد الحليم محمود،فقد كتب وألف في هذا الفن، وكان له جهد واضح، والشيخ: محمد الغزالي وكتاباته القيمة ومعانيه الصافية الراقية، والشيخ: القرضاوي له في هذا الميدان صولات وجولات تتميز بالوسطية والاعتدال والعمق، والأستاذ: سعيد حوى والذي حاول أن يحرر وينقي ما علق به فكتب فيه مجموعة من المؤلفات والأبحاث العميقة والتي تميزت بنكهتا الصوفية السلفية، ومن الكتابات المتميزة والعميقة حول المفهوم كتابات الدكتور:عبد المجيد النجار، منها ورقه بعنوان:(مقاصد القرآن في تزكية الإنسان)، وإن كانت صفحاتها قليلة لكنها عميقه، ركز فيها على البعد الجماعي للمفهوم، والتنمية الشاملة للذات الإنسانية، والتي لا يتوصل بها إلا بمعرفة الحقيقة الإنسانية.

Copyright © 2025 JCMS

وكتب الدكتور: محمد حلمي عبد الوهاب: (محورية التزكية الروحية في بناء المجتمع)، وهو كتاب موزع على ستة فصول، كشف فيه عن الأزمات الروحية والسلوكية في ظل الواقع المعيش، وخاصة في عالم التقنية الحديثة وما تحمله من تقدم مادي كبير وفي نفس الوقت دمار للذات الإنسانية، حيث التراجع الروحي والسلوكي والقيمي حاول فيه معالجة هذه الإشكاليات، وغير ذلك من الأبحاث العلمية، والرسائل الجامعية، وكتابات رواد الحركات الإصلاحية والتي تناولت الموضوع من جوانب متعددة، ومحاور مختلفة، وهذه إشارات لمحدودية الدراسة.

والجديد الذي تقدمه الدراسة هو الوصول إلى جذور المفهوم وأبعاده ووظائفه في ضوء الوحي والتراث والواقع والمستجدات، وضبطه بعيداً عن الغلو والتفلت، أو الإفراط والتفريط.

ومنهج الدراسة هو: التحليل والبناء المفاهيمي للمفهوم من منظور الوحي، وتحليله من حيث الحالة المفاهمية، والدلالات الفكرية والواقعية والتوظيفات الفكرية والسلوكية، وهذه المنهجية تعتمد مرجعية الوحي، وتلتزم الوسطية، وتستفيد من تنوع المدارس العلمية والفكرية، والفكر الإنساني للانتفاع من تراثه وتجاربه، واستخدمت عدداً من مناهج البحث العلمى وهي: (المنهج الاستدلالي) و (التحليلي) و(الاستنباطي) و(النقدي).

وأخيراً فإن الهدف من الدراسة هو: بيان مفهوم التزكية في ضوء الوحي، والتراث، والواقع، والمستجدات، ومحاولة تصحيح مساره والوقوف على أبعاده ووظائفه، وإحياء دور الوحي في التعامل مع العلوم والمعارف، ووضع قدم السائرين إلى الله تعالى على الطريق المستقيم، وخاصة ونحن في واقع اخطلت فيه الأمور، وكل يدعي وصلا بليلى...وليلى لا تقر له بذاكا، محاولة إحياء الدور الروحاني الوجداني خاصة في واقع طغت فيه الماديات والشهوات، والانشغالات، والموبقات، فيحتاج أن نقابله بأشواق روحية فكرية نقية صافية راقية، والخروج بالمفهوم من صومعته إلى الآفاق الواسعة، ليصبح زاداً للسائين، وطاقة محركة للعاملين المصلحين، حتى تستعيد الأمة موقعها الريادي، وتحقق غاية الاستخلاف، وتأخذ بيد العالم الحائر إلى الحق والعدل، وتأكيد المنحى العلمي الواقعي في تناول القضايا الفكرية للعمل على دمج ووصل الفكر بالواقع المعيش والعلم بالعمل والدين بالدنيا.

Copyright © 2025 JCMS

المبحث الأول: جوهر التزكية ومفهوما في الوحي

تعتبر التزكية من أهم القضايا التأسيسية للبناء الإنساني الروحي والنفسي والوجداني والفكري والسلوكي، حيث تأهل الأمة لتحقيق الاستخلاف والعمران والشهادة على العالمين، ولتأصيل مفهومها، والوقوف على أصلها وجذورها، لابد من عرضها على الوحي، واللسان العربي.

المطلب الأول: جوهر التزكية

أ. التزكية لغة: (زكى) الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة، ويقال: الطهارة زكاة المال...وهو زيادته ونماؤه. (ابن فارس١٩٧٩، ٣/ ١٧) ويقال: زكا الشخص أو الشيء: صلح وطهر. (عبد الحميد عمر ٢٠٠٨ ،٢/ ٩٨٩) والمدلول اللغوي للمفهوم يدور حول: النماء، والصلاح، والزيادة، والصفاء، والنقاء، والسمو، والطهارة، والعفة، والترقي.

ب. التزكية اصطلاحاً: تعنى: تطهير النفس بالانقطاع عن العلاقات البدنية. (عبد الحميد عمر ٢٠٠٨ ،٢/ ٩٨٩) فهي: تنمية النفس وتطهيرها والسمو بها إلى خالقها والمحافظة على فطرتها. (عاطف السيد١٤٣١ (١ / ١٣٠) و: إصلاح النفوس وتطهيرها عن طريق العلم النافع، والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المحظورات. (عبد العزيز آل عبد اللطيف ١ / ٥٧) وتعنى: التربية والتسامى بالنفس وامتلاك الهوى. (محمد الغزالي، ١٩٩١، ص٣٠٠) و: التطهير للنفس والتربية. (الأنصاري، ٢٠٠٩، ص١٤٧) والتعريفات الاصطلاحية أغلبها يركز على: التطهير النفسي والنجاة الفردية فهي تفتقد النظرة الشمولية التكاملية والبعد الجماعي، وحمل المفهوم على أصل اللغة أولى ليشمل كل المعاني والجوانب والأبعاد، واللغة تتوافق مع مفهوم الوحي كما سيأتي.

ت. مصطلحات ذات صلة

هناك مصطلحات وعناصر ذات صلة وثيقة تدور في فلك المفهوم وتساويه ولها علاقة قوية به، بل هي مرادفة له، وتحقق غرضه وتقوم بنفس مهمامة، ومن ذلك:

١. التصوف

يعني: طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النفس وتسمو الروح فـ(علم التصوف): مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوفة والآداب التي يتأدبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم. (مجمع اللغة العربية ١ / ٥٢٩)، ومن أجمع التعاريف تعريف الإمام الجيلاني بأنه: الصدق مع الحق، وحسن الخلق مع الخلق.

Copyright © 2025 JCMS

(١٦٠/٢) وتعريف الإمام زروق الفاسي قال: وحد التصوف ورسم بوجوه تبلغ نحو الألفين ترجع كلها إلى لصدق التوجه إلى الله تعالى. (ص٢٧)، والتصوف من أشهر المصطلحات التي تعبر عن المفهوم، وله مراجعه وقواعده وأصوله ومدارسه ورواده في القديم والحديث، وله طرق وأشكال متعددة، فمنه النقي المشروع المنضبط بالكتاب والسنة، والمنتحل المبتدع، والمحترف المزور، والنقي المشروع منه تطور ومر بمراحل لكن أغلبه يركز على الجانب الروحي ويصب في تزكية النفس وتطهيرها.

٢. التربية

التربية تعني: تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا. (الكفوي، د.ت.، ١ / ٣١٤) فهي: إعداد الفرد أو الكائن الإنساني لحياته في الدنيا والآخرة. (عاطف، ٢٠٠٩، ١ / ١٧) وتعني: علم يبحث في الوسائل التي تكفل التربية الصحيحة ... خلقياً ونفسياً وعلمياً، والبلوغ إلى الكمال، ويبحث في النظم التربوية نشأتها وموضوعها وتطورها والغاية منه. (عبد الحميد، ٢٠٠٨، ٢ / ٨٥٢) وهي: مصطلح متداول خاصة في العصر الحديث ومفهومه إجمالاً يقصد به تهذيب النفس والسلوك، وإعداد الإنسان السوي المستقيم، وقد استعملته الحركات الإصلاحية في العصر الحديث، وأصبح سمة بارزة لبعضها، وبالنظر إلى أدابياتها نجد أن بعضهم فطن إلى تحقيق التكامل والتوازن تنظيراً وتأطيراً، لكن التنزيل والتطبيق مازال يحتاج إلى عمق وجهد وتركيز، واستعملته المؤسسات التعليمية فأصبح مقروناً بها فيقال: التربية والتعليم، لكن واقع هذا المصطلح ضعيف جداً ويكاد يكون مجرد شعار والجانب التنظيري فيه غير متكامل ويفقد التوازن.

٣. الربانية

الرب في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام، يقال ربه، ورباه وربيه. (الأصفهانى، ١٩٩١، ١/ ٣٣٦) ومعنى الرباني في اللغة الرفيع الدرجة في العلم العالي المنزلة فيه وعلى ذلك حملوا قوله تعالى: ﴿**لَوْلَا يَنْهٰهُمُ الرَّبّٰنِيُّوْنَ وَالْاَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْاِثْمَ وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۗ لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَصْنَعُوْنَ**﴾ (المائدة: ٦٣) وقوله: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُّؤْتِيَهُ اللّٰهُ الْكِتٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُوْلَ لِلنَّاسِ كُوْنُوْا عِبَادًا لِّيْ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَلٰكِنْ كُوْنُوْا رَبّٰنِيّٖنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُوْنَ الْكِتٰبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُوْنَ**﴾ (آل عمران: ٧٩) قال ابن عباس حكماء فقهاء وقال ابو رزين فقهاء علماء وقال ابو عمر الزاهد سالت ثعلبا عن هذا الحرف وهو الرباني فقال سألت ابن الاعرابي فقال إذا كان الرجل عالما عاملا معلما قيل له هذا رباني فإن خرم عن خصلة منها لم نقل له رباني. (ابن القيم، ٢٠٠٩، ١٢٤/١) واستعملت الربانية كثيراً خاصة في عصرنا

Copyright © 2025 JCMS

فنجد الكثير من رواد المدارس الإصلاحية ينادي بالربانية، وهي: العودة إلى المنهج الرباني، خاصة إصلاح النفس، لكن التأطير والتنظير لم يأخذ فيها مساحات كبيرة كمصطلح التصوف والتربية، وهي من معاني المفهوم وفي نفس الوقت ثمرة من ثمراته.

٤. مفهوم السلوك

الخيوط التي يخاط بها الثياب الواحدة: سلكة والمسلك: الطريق، سلكته سلوكا. (الفراهيدي ٥/ ٣١١) وهو: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه يقال فلان حسن السلوك أو سيء السلوك و (في علم النفس) الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حي إزاء أي موقف يواجهه. (مجمع اللغة العربية ٤٤٥/١) فمصطلح السلوك يساوي التزكية، والتصوف ويلتقي مع المفهوم في كثير من الجوانب، وهو معلوم ومذكور في في القديم والحديث يقول صاحب الرسالة القشيرية: ثم إذا أراد السلوك فبعد هذه الجملة يجب أن يتوب إلى الله سبحانه من كل زلة فيدع جميع الزلات سرها وجهرها وصغيرها وكبرها. (القشيري، ١٩٨٩، ٢ / ٥٧٤)، ويذكر الإمام الغزالي في الإحياء مصطلح السلوك في مواضع مختلفة ومن ذلك قوله: فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعاً من الإعانة. (الغزالي، ٢٠٠٥، ١/ ٥٢)، والإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى له مجلد سماه بالسلوك وعرفه بقوله: (السلوك هو الطريق التي أمر الله بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق وهذا كله مبين في الكتاب والسنة؛ فإن هذا بمنزلة الغذاء الذي لا بد للمؤمن منه. (ابن تيمية، ٢٠٠٤، ٢٧٣/١٩)، وهو متداول في عصرنا فقد استخدمه العلامة القرضاوي وسمى به سلسلته: (تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة)، ويقصد بها التزكية، وكتب فيها عدة مؤلفات وصدرها:بـ(الحياة الربانية والعلم)، وكان فيها واضح الفكرة، حيث الشمول والتوازن، وبين موقفه من التصوف، ومعلوم أنه يتميز بالوسطية والتوازن، ويطلق مصطلح السلوك في كتب علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الفلسفة كثيراً، ويتناول بمحاور وأساليب تناسب هذه العلوم، وهناك مسميات أخرى للتزكية: كعلم القلوب، وعلم النفس والأخلاق، وعلم البواعث على الأعمال، والروحانيات، والروحية، والجانب العاطفي.

والعلاقة بين هذه المصطلحات هي علاقة الترادف فكلهم هدفهم واحد وهو السمو بالروح الإنسانية وتزكيتها، وهي في نفس الوقت علاقة الجزء بالكل فالتزكية لكونها مصطلح قرآني أشمل وأعم فهي تستوعب كل هذه المصطلحات وتزيد عليها، وكل هذه المصطلحات تدور في فلكها، وهناك علاقة أخرى وهي علاقة التقارب الدلالي بين هذه المصطلحات وأن كان لكل واحد ملمحه الخاص ولو بنسبة.

Copyright © 2025 JCMS

المطلب الثاني: مفهوم التزكية في الوحي

أولاً: التزكية في المفهوم القرآني

الوقوف على المفهوم في النسق القرآني يمثل الإطار المرجعي للبناء الصحيح له وحجر أساسه، ومنه يكون الانطلاق والوصول إلى المعرفة الحقيقية واليقينية لتميزه بالربانية.

أ. ورود التزكية في القرآن

وردت والتزكية بمعاني متعددة منها: (التنمية، والطهارة، والحلال، والعلاج، والصيانة، والنقاء، والتخلية، والتحلية، والإقبال، والتوحيد، والحسن، والجمال، والمصلحة، والاحتراز عن الفواحش)، وعند النظر في مادة: (زكا) في القرآن نجدها تعني: الصلاح، والطهر، والنماء، والهداية، ونقيضها: (دسا) وتعني: الغواية والضلال والإفساد والخبث، وقد ورد اللفظان في سورة الشمس بعد أطول قسم في القرآن قال تعالى: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحٰىهَاۙ. وَالْقَمَرِ اِذَا تَلٰىهَاۙ. وَالنَّهَارِ اِذَا جَلّٰىهَاۙ. وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشٰىهَاۙ. وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنٰىهَاۙ. وَالْاَرْضِ وَمَا طَحٰىهَاۙ. وَنَفْسٍ وَّمَا سَوّٰىهَاۙ.**﴾ (الشمس: ٧-١٠)

ووردت: (زكا) في القرآن بصيغ متعددة، منها: (أَزكَىٰ) أي: أطهر في أربعة مواضع: (البقرة: ٢٣٢) (الكهف: ١٩) (النور: ٢٨) (النور: ٣٠، ٣١) و: (يزكيهم) أي: ينقيهم ويربيهم ويغنيهم في ثلاثة مواضع: (البقرة: ١٢٩) (آل عمران: ١٦٤) (الجمعة: 9،٣)(ويزكيكم) في موضع: واحد: (البقرة: ١٥١) و: (تزكى) أي: تطهر في أربعة مواضع: (طه: ٧٦) (فاطر: ١٨) (النازعات: ١٨) (الأعلى: ١٤) و: (يزكي) في موضعين: (النساء: ٤:٩) (النور: ٢١) أي يتطهر، و: (يَزَّكَّى) في موضعين: (عبس: ٣: ٧) و: (زَكَّاهَا) (الشمس: ٩) و: (يُزَكِّيهِمْ) في موضعين: (البقرة: ١٧٤) (آل عمران: ٧٧) أي: يطهرهم وذلك في موقف كتمة العلم وموقف الله منهم يوم الحساب،و: (زَكَاةً) في موضعين: (مريم: ١٣) (الكهف: ٨١) أي: تطهيراً ،و (زَكِيًّا) (مريم: ١٩) أي: صالحاً و: (زَكِيَّةً) (الكهف: ٧٤) أي: طاهرة: و(الزكاة) وردت في ست وعشرين موضعاً أغلبها مقرون بالصلاة وهي تعني: النماء والطهارة والبركة ووسيلة من وسائل المفهوم وغايتها تطهير النفس من البخل والشح بإخراجها وكل هذه الألفاظ الواردة في الكتاب العزيز القريبة والبعيدة تصب في المفهوم وتخدمه من أبعاد ومحاور مختلفة،لأن القرآن يتميز بوحدته الموضوعية.

ب. التزكية مقصد قرآني أصيل

بعد هذا العرض الإجمالي للمفهوم في القرآن يمكن استعرض أربع مواضع قرآنية تصب في صميم الجانب المقاصدي وتدل دلالة واضحة على كونه مقصداً من المقاصد العليا والحاكمة للقرآن الكريم وركيزة أساسية

Copyright © 2025 JCMS

وسمة بارزة ولازمة للمهام النبوية، حيث جاء ليرفع أمته ويرقيها وينقيها وينميها ويطهرها، يقول ابن القيم: فإن تزكية النفوس مسلم إلى الرسل وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها وجعلها على أيديهم دعوة، وتعليما وبيانا، وإرشادا، لا خلقا ولا إلهاما فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم. (ابن القيم، ١٩٩٦، ٢/ ٣٠٠).

ولذلك كان لهذه المواضع أهمية كبرى للمفهوم، الموضع الأول: دعوة خليل الرحمن بمبعث نبي آخر الزمان الذي يتلو على أمته الآيات ويعلمها ويزكيها،قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ**﴾ (البقرة: ١٢٩)، وهنا نجد تأخير ويزكيهم رغم أنها مقدمة في المواضع الأخرى على التعليم ومن المعلوم أنه لا تزكية بدون علم وفقه وأن:"التقديم والتأخير في البلاغة يفيد الأهمية؛ ومن هنا جاءت التزكية في الآيتين الأوليين مقدمة على التعليم؛ من باب ذكر المقاصد قبل الوسائل؛ لشرف الغاية وعلوها؛ وحتى لا يفتتن السائر بالوسيلة عن الغاية؛ فيضل عنها،ويكون من الخاسرين." (الأنصاري، ٢٠٠٩، ص١٤٨).

الثاني: جاء في معرض الحديث عن مبعث النبي المعلم المزكي لأمته بالكتاب والتعليم والحكمة قال تعالى: ﴿**كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ**﴾ (البقرة: ١٥١)؛ الثالث: جاء في معرض الحديث عن منته وفضله تعالى على هذه الأمة بأن بعث فيها رسولاً منها مهمته التلاوة والتزكية والتعليم قال تعالى: ﴿**لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ**﴾ (آل عمران: ١٦٤).

الرابع: جاء في معرض محو الأمية لأمته بتحقيق التلاوة والتزكية والتعليم، وهذه المهام الثلاثة تخرج أمة قوية فتية مؤهلة لإقامة العمران وتحقيق متطلبات الاستخلاف، قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ**﴾ (الجمعة: ٢).

ومعنى يزكيهم في هذه المواضع أي: يطهرهم ويرفعهم وينقيهم يطهر قلوبهم وتصوراتهم ومشاعرهم ويطهر بيوتهم وأعراضهم وصلاتهم ويطهر حياتهم ومجتمعهم وأنظمتهم.. يطهرهم من أرجاس الشرك والوثنية والخرافة والأسطورة، وما تبثه في الحياة من مراسم وشعائر وعادات وتقاليد هابطة مزرية بالإنسان

Copyright © 2025 JCMS

وبمعنى إنسانيته. ويطهرهم من دنس الحياة الجاهلية، وما تلوث به المشاعر والشعائر والتقاليد والقيم والمفاهيم. (قطب، ١٩٨٦، ١/ ٥٠٧)

ولهذه الأهمية والمحورية للمفهوم في القرآن عده الأئمة في القديم والحديث من المقاصد الأصيلة والعليا والحاكمة للقرآن الكريم وهذا يظهر من خلال أقوالهم:

١. الإمام الشاطبي في: (الموافقات) يضعه في مصاف المقاصد العليا فيذكر عند حديثه عن مقاصد القرآن مقصد: (الصراط المستقيم، وهو جانب التحلية والتزكية) حيث صرح بالتخلية والتحلية وهما الطرق إلى الصراط المستقيم والمفهوم يطير بهما وبغيرهما لا تتحقق التزكية والسلوك.
٢. الإمام الطاهر بن عاشور في: (التحرير والتنوير) يعد التزكية مقصداً أصلياً حيث ذكر جملة من المقاصد ومنها: (تهذيب الأخلاق، والتعليم، والمواعظ) وهذا هو هذف المفهوم حيث التهذيب للنفس من عيوبها وللروح من أدرانها وللعقل والقلب مما يصيبهما من مفاسد.
٣. العلامة القرضاوي في: (كيف نتعامل مع القرآن) عده من المقاصد الرئيسية حيث: (تزكية النفس البشرية وتقويم الأخلاق) وهذا يدل على ظهور ووضوح المفهوم في الاستعمال القرآني.
٤. العلامة العلواني عده من المقاصد العليا الحاكمة والتي تتمثل في: (التوحيد، والتزكية، العمران) في كتابه (مقاصد الشريعة) واختيار العلواني لهذه الثلاثة يدل على عمق الرجل وفكره الوقاد وعقله المستنير، حيث لا معنى للدين بغير هذه الثلاثة، فالتوحيد أساسه والتزكية عماده، فهي محض تخريج الأمة المؤهلة للاستخلاف، وفي نفس الوقت لا يتحقق العمران إلا بتحقيق (التوحيد والتزكية) فهما جناحيه، فهي منظومة متشابكة متلازمة لا ينفك بعضها عن الآخر بأي حال من الأحوال.

وبذلك يتضح جلياً كون التزكية من أهم وأعظم مقاصد القرآن الكريم وهذا بدوره يلفت النظر إلى أن إهمال هذا المقصد في الواقع المعيش جعل الأمة تفقد بصلتها، بل وأهم مقوماتها ومقاصدها، وترتب على ذلك واقع معقد شديد الصعوبة، ومستقبل مجهول غير واضح المعالم، والحل هو تفعيل هذا المقصد والعمل على عودته إلى مكانه الطبيعي الذي وضعه له القرآن وطبقته القرون الفاضلة.

ج. شمولية التزكية في المفهوم القرآني

تناول القرآن الكريم المفهوم بشكل شامل حيث إنه ليس مقصوراً على الفرد، بل يتعدى إلى المجتمع والأمة والحياة بجميع جوانبها الفكرية والسلوكية والروحية، فمهمة النبي الأمي تزكية الأمة أفرداً وجماعات، ولذلك نجد قوله تعالى: (يزكيهم)، (ويزكيكم) أي: جموع الأمة لتكون مأهلة للريادة والشهادة والقيادة

Copyright © 2025 JCMS

والاستخلاف، وملمح آخر: أن المفهوم يعتبر منظومة شاملة متكاملة متوازنة للكيان الإنساني: قلبه وروحه وعقله ونفسه ومشاعره فكراً وسلوكاً قولاً وعملاً، فهو شامل للجوانب الروحية والفكرية والوجدانية والبدنية، وشامل لعموم الأمة، أما حصره في الفردية والروحية فهذا يقلل من شأنه ويضعف مهمته، ويخرج إنسانا ضعيفا غير متكامل، وأمة غير مؤهلة للاستخلاف.

ثانياً: التزكية في المفهوم النبوي

لقد تكرر هذا المفهوم في السنة المطهرة يقول ابن الأثير قد:«تكرر في الحديث ذكر «الزكاة والتزكية» وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح،وكل ذلك قد استعمل في القرآن والحديث، (ابن الأثير، ١٩٧٩، ٢/ ٣٠٧) ،ومن ذلك دعائه صلى الله عليه وسلم :(اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها» (مسلم٤،١٩٥٥/ ٢٠٨٨) (٢٧٢٢) ، ومعنى زكها أي: طهرها ونقها وصفها (وزكها) أي: وطهرها من الذنوب ونقها من العيوب واجعلها زاكية كاملة في الإيمان. وقال النووي معنى: (زكها) طهرها، ولفظة خير ليست للتفضيل بل معناه لا مزكي لها إلا أنت. (المباركفوري (٨ / ٢٢٠). وفي الحقيقة فإن السنة النبوية المطهرة بمجموعها منهج تزكوي تربوي تنموي متكامل متوازن،ي تربى فيه الإنسان وتترقى فيه الأمة، فهي نموذج نظري وعملي فكري وسلوكي، فالتوجيهات النبوية القولية والفعلية، والحالة التطبيقية بمثابة تهذيب وتربية لأمته، وقد أثمرت نماذج ربانية قادت سفينة العالم إلى بر الأمان، وأقامت حضارة لم تغب عنها الشمس، وحقق المنهج النبوي المفهوم بكل أبعاده الروحيه والتربوية والفكرية الفردية والجماعية، حيث التوازن والشمول والتكامل، وهذا هو النموذج الذي يقاس عليه ويرجع إليه فهو الميزان التي توزن فيه الأقوال والمعتقدات والأفكار والأفعال والأعمال والسلوكيات على مر العصور والدهور وإلى يوم القيامة، فمن وافقه قبلناه ومن خالفه رددناه، فالعصمة للوحي وصاحبه صلى الله عليه وسلم.

وكتب السنة المشرفة كلها كتب تزكية وتنمية وتربية وتهذيب وسلوك للذات الإنسانية، ومن الكتب الحديثية التي جمعتها بصورة تزكوية سلوكية كتاب:(رياض الصالحين) للإمام للنووي، حيث كان رحمه الله يجمع بين الحديث، والفقه، والتصوف، وكتابه يعتبر منهج تربوي تهذيبي جامع لكل سالك، فلو نظرنا إلى أبوابه لوجدنا هذا واضحاً فمثلاً: أول باب فيه: الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية،ثم باب التوبة، والصبر، والصدق، والمراقبة، والتقوى، واليقين

Copyright © 2025 JCMS

والتوكل، والاستقامة، والتفكر في عظيم مخلوقات الله تعالى وفناء الدنيا وأهوال الآخرة وسائر أمورهما وتقصير النفس وتهذيبها وحملها على الاستقامة، وباب في المبادرة إلى الخيرات وحث من توجه لخير على الإقبال عليه بالجد من غير تردد، وباب المجاهدة، وهكذا بقية الكتاب تجد فيه البعد الروحي والسلوكي الأخلاقي والفكري، وهذه الأبواب تعد عند أهل التزكية والسلوك منازل ومقامات يرتقي فيها السالك، وكذلك نجد كتاب الزهد للأمام أحمد بن حنبل، والزهد والرقائق للإمام عبدالله بن المبارك، والزهد للإمام نعيم بن حماد، وغير ذلك الكثير من كتب السنة النبوية التي حوت مجموعة من الآداب والفضائل والأخلاق والسلوكيات فكراً وسلوكاً، والتي تؤسس لفقه التزكية، وترسم المنهج الصحيح للوصول إليه بطريقة سلسلة وبسيطة وعميقة ومتوازنة وشاملة.

وبعد هذا العرض على القرآن، والسنة، واللسان العربي، واصطلاح العلماء، يمكن القول: إن مفهوم الوحي أشمل وأكمل، وقد وافقه اللسان العربي، وجاءت التطبيقات النبوية العملية لتكون خير دليل عليه، والذي يعني: (التعامل الأمثل مع الإنسان بمكوناته والمجتمع بكل فئاته وفق منهج الوحي فكرياً وروحياً وسلوكياً.) ولبيان هذا المفهوم الذي وصلت إليه الدراسة: فإن المحور الأول: فيه هو الإنسان بكل مكوناته، والتعامل الأمثل معه يكون وفق منهج الوحي من خلال الفهم الدقيق للنفس الإنسانية وطبيعتها، والوصول إلى أغوارها، ومعرفة أمراضها وعيوبها، والطريق إلى تخليتها وتحليتها وتجليتها، والانتقال بها من الشرود والغفلة إلى القرب واليقظة، والترقي في منازل السائرين، ومقامات العابدين، والإنتقال بالعقل البشري من الجهل إلى نور العلم والفهم، وبالروح والقلب إلى الترقي والقرب قولاً وفعلاً فكراً وسلوكاً للوصول إلى السمو الروحي والأخلاقي والفكري المتوازن، الذي يحقق فيه مقومات الاستخلاف.

والمحور الثاني: هو المجتمع والأمة بكل مكوناتها من خلال مناهج تزكوية ترتقي بها وتحقق فيا مقومات الاستخلاف، إذاً التزكية في مفهوم الوحي شاملة (الإنسان بجميع مكوناته، والأمة بكل فئاتها)، فهي لا تقف عند الفردية، بل تتعدى إلى التزكية الجماعية للأمة لتكون أنموذجاً عملياً للإنسانية، وتحقق مقومات الشهادة والريادة والأستاذية.

وهذا البعد نبه عليه الدكتور النجار في بحثه: (مقاصد القرآن في تزكية الإنسان) فقال: اتجهت الجهود التي بذلت في بيان تزكية الإنسان في أغلبها إلى تزكية الإنسان في بعده الفردي،ولم يكن لتزكية الإنسان في بعده الجماعي إلا الحظ اليسير،كما اتجه أغلبها في تزكية الفرد إلى بعده الروحي تصفية بالفضائل

Copyright © 2025 JCMS

والعبادات، وترويضاً للنفس على كبح الشهوات واكتساب الفضائل،وكل ذلك في الغالب من أجل الخلاص الفردي في يوم الحساب،وكان عند البعض مقترناً بهجران مشاغل الدنيا،والقعود عن أي كسب مادي فيها،ولا نرى أن التزكية كما جاء التوجية إليها في القرآن الكريم تقف عند الحد الذي انتهى إليه الأكثرون في هذا الشأن،وإنما هي تتجاوز البعد الفردي في الإنسان إلى البعد الجماعي فيه، وتتجاوز البعد الروحي إلى الأبعاد الفكرية والعملية،وتتجاوز هدف الخلاص الفردي في يوم الحساب إلى التعمير في هذه الدنيا التي هي مزرعة الاخرة. (النجار، ٢٠١٩، ص١٢)

ولعل السبب في قصر التزكية في البعد الفردي والروحي هو كما يقول سعيد حوى هو: القصور في التصورات حول الإسلام فقد وجد قصور في التصورات حول مقامات السير في دين الله وقصور في العمل في هذه المقامات نفسها هو أثر عن القصور في التصور العام (حوى، ١٩٩٩، ص٢٥)، فالقراءة الجزئية والتبعيضية للوحي هي التي سبب هذا لقصور في فهم الإسلام وفهم التزكية وكل القضايا، والعلاج هو الرجوع إلى الوحي والتعامل معه من خلال النظرة الشمولية، والقراءة المتوازنه والمتكاملة والتي تجمع بين الكون والوحي.

ثالثاً: إعادة بناء المفهوم: عملية إعادة بناء المفهوم تبدأ بالنظر في مدى مناسبة لفظه للاستخدام في التعبير عن القضية محل الاهتمام، وبالنظر لذلك نجد مناسبة مصطلح (التزكية) لعدة أمور منها:

(١) استعمل القرآن مصطلح: (التزكية) للتعبير عن الحالة: التنموية التزكوية للوصول إلى الوراثه النبوية الكاملة وتحقيق مقومات الاستخلاف، والمفهوم القرآني كان واضحاً وصريحاً في ذكر مصطلح التزكية ومع الوضوح كان عميقاً حيث الشمول والتوازن.

(٢) كونه من أعظم مهام النبوة فالمصطلح كان حاضراً في السنة النبوية المطهرة بقوة، حيث المنهجية التربوية التنموية الشاملة فكراً وسلوكاً، وحاضراً بقوة في الحياة التطبيقية النبوية، وكان واقعاً عملياً عاشته الأمة، خاصة القرون الثلاثة الفاضلة فكراً وسلوكاً قولاً وعملاً.

(٣) الشمول والتكامل والتوازن، حيث يشمل المصطلح هذه السمات والأبعاد، فهو يعتني بالجوانب (الروحية والنفسية، والوجدانية، والفكرية، والبدنية)، (الفردية،والجماعية)، وبذلك فهو يشمل مصلح: التصوف، والسلوك، والتربية، والربانية، والجانب العاطفي، وفقه القلوب، والروحية، والروحانية، وكل المصطلحات الحالية والمستقبلية، ويزيد عليها وسيظل يتتدفق بمعانيه لارتباطه بالوحي والهدي النبوي، فهو الميزان لكل مصطلح ومرجع، ووعاء فكري وسلوكي لأهم وأعظم قضية ومقصد

Copyright © 2025 JCMS

للوحي والنبوة،وسيظل ساري ومهيمن ومستوعب لكل جديد ومستحدث ومتطور في هذا المجال وحارس وضابط لقيمة عليا حاكمة من قيم الوحي.

المبحث الثاني: المفهوم أبعاده ووظائفه

للمفهوم أبعاد ووظائف بتحقيقها يتحقق مقصده وهو التوحيد والعمران، وبوقوع أي خلل فيه نكون ابتعدنا عن غايته، وتصبح النتيجة عكسية تماماً، والذي يوصلونا لحقيقة الأبعاد والوظائف هو الوحي والتطبيقات النبوية من خلال تدبرنا في معانيها وغوصنا في جوانبها، وتكمن هذه الأبعاد والوظائف فيما يلي:

١. التكامل والشمول بعد محوري حيث التخلية والتحلية والصياغة والتنمية والترقية لكل مكونات الإنسان، وتتمثل هذه المكونات والجوانب في:

أ. الروح: حيث يعمل جناحي التخلية والتحلية على الوصول بها إلى الفطرة وأصل المعرفة وكمال العبودية،فالروح في أصلها عارفة بربها مقرة له بالتوحيد قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾ (الأعراف: ١٧٢)، ولكن عندما تلبست بالجسد والشهوات والبيئات المختلفة تغيرت فهى تتأثر بالعوامل التي تحيط بها، ولذلك كان توفير المناخ والبيئة الصالحة من أهم عوامل تحقيق المفهوم، ففي الحديث:«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه،كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء،هل تحسون فيها من جدعاء» (البخاري، ١٩٩٣ ،١/ ٤٥٦) ١٢٩٢)، وعملية التخلية والتحلية للروح ليست سهله، حيث تحتاج إلى قوة علمية وعملية، وهاتين القوتين تكمنان في المفهوم.

ب. القلب: عليه مدار الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة،فهو نقطة البداية الصحيحة، والفشل في إصلاحه يخرج قلوب قاسية ومريضه إما تشدداً وغلواً أو تفلتاً وتسيباً، وكليهما مرفوض في منطق الوحي، ولذلك كان لابد من معرفة أحواله من الصحة والسقم والقوة والضعف والإبصار والعمى والنور والظلمة، فهو موطن الفتن ومحلها فتعرض عليه فبحسب قوته يقبل ويرفض،وطبيعة القلوب كثرة التقلب، وسمى القلب قلباً لكثرة تقلبه، وهذا التقلب يحتاج إلى متابعة ومحاسبة ومجاهدة وصبر وطول فكر وتدبر ودوام ذكر واستغفار وتبتل حتى يستقيم على مراد الله منه وهو صدق التوجه إليه.

Copyright © 2025 JCMS

ج. النفس: أول ميدان العبد فإذا صلحت صلح سائر أمره فهي أصل كل معصية وغفلة والرضى عنها أصل كل بلاء ومرض، فمعرفة هذه الأمراض أول خطوة على الطريق، والخطوة الثانية معرف طرق العلاج، وكل ذلك من أصول المفهوم.

د. العقل: طريق العلم والمعرفة وكلاهما طريقا المحبة، وهي طريق الطاعة، والعقل هو طريق الفهم عن الوحي، فكيف نرتقي به؟ وكيف نطهره من الجهل والظلمة؟ وكيف نضبطه على المنهج الإلهي؟ كل ذلك مجال المفهوم، حيث التخلية من كل حجاب، والتحلية بكل معرفة ونور وهداية، فهو نقطة البداية في السير الحقيقي إلى الله تعالى. ولذلك قال الأئمة: لا تزكية ولاتصوف إلا بفقه وعلم يقول: (مالك: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق. (زروق، د.ت.، ص٢٧)، ولذلك كانت أعظم مهام النبوة: التلاوة، والتزكية، والتعليم، وكلهم يدورون في فلك التزكية في نهاية الأمر فالتعليم والتلاوة من لوازم التزكية الصحيحة ولا تزكية بغير تلاوة وتعليم، إذاً لا تزكية بغير عقل وفكر.

هـ. الجوارح: هي المترجمة لصلاح الروح والقلب والنفس والعقل، وهي الحارسة لهم، ففسادها يعني فساد الجوارح، فهي: تمثل الأبواب للبيت، والذي هو: (القلب) فإذا أهمل باب من هذه الأبواب دخل منه العدو وعبث فيه، بل ربما أحرقه وهدمه على من فيه، فحفظه لازم، ولا يتم الحفظ إلا بمعرفة المفهوم والذي يعني: التخلي عن كل معصية وغفلة والتحلي بكل طاعة وفضيلة.

إجمالاً: المفهوم يريد نقل الإنسان من ذات أقل كمالاً إلى ذات أكثر كمالاً، ومن أمة شاردة إلى أمة يقظة واعية قائمة بحق الشهادة، ولن يتم هذا الشمول التزكوي والتكامل التربوي إلابالإقتداء بالنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً فكراً وسلوكا، ًفهو الذي حقق هذا الشمول والتكامل بكل أركانه ومحتوياته، فقد كان قرآناً يمشي على الأرض، وكما يقول الإمام الجنيد: الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك. (الجوزية، ٢٠١٩، ١/ ٩).

Copyright © 2025 JCMS

٢. من أبعاد المفهوم ووظائفه الوسطية والتوازن فلا إفراط ولا تفريط، فالمفهوم يحرص على تحقيق التوازن في كل تعاملاته مع النفس البشرية، وهو منهج الوحي قال تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (القصص: ٧٧) فالوسطية والتوازن هنا هو عدم إهمال الآخرة انشغالاً بالدنيا وعدم تركها انشغالاً بالآخرة، يقول الإمام الشوكاني: قال الحسن وقتادة معناه لا تضيع حظك من دنياك فى تمتعك بالحلال وطلبك إياه. (الشوكاني، ١٩٩١، ٤ / ٢٦٦).

والتوازن منهج نبوي واضح، عَنْ عَوْنِ بن أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَجَاءَ سَلْمَانُ يَزُورُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَإِذَا أُمُّ الدَّرْدَاءِ مُبْتَذَلَةٌ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكِ يَا أُمَّ الدَّرْدَاءِ؟ قَالَتْ: إِنَّ أَخَاكَ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ، وَلَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَرَحَّبَ بِسَلْمَانَ وَقَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: أَطْعِمْ، قَالَ: إِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَتُفْطِرَنَّ فَأَبَى يَأْكُلُ حَتَّى يَأْكُلَ مَعَهُ فَأَكَلَ مَعَهُ، ثُمَّ بَاتَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ أَرَادَ أَبُو الدَّرْدَاءِ أَنْ يَقُومَ فَمَنَعَهُ سَلْمَانُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِرَبِّكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ حَقًّا، أَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ) (البخاري، ١٩٩٣، ٣٨/٣)، والتوازن معنى شامل يشمل كل نشاط الإنسان، فهو توازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح توازن بين ضروراته وأشواقه، توازن بين الحياة فى الواقع والحياة فى الخيال، توازن بين الإيمان بالواقع المحسوس والإيمان بالغيب الذى لا تدركه الحواس، توازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، توازن فى النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. توازن فى كل شيء. (محمد قطب، د.ت.، ج١ ص ٢٩)، وهذا التوازن يضبط مفهوم الزهد والتوكل والتعامل مع الدنيا وغير ذلك من المفاهيم التي حدث فيها خلط وتشويش وإفراط وتفريط.

٣. من أبعاد المفهوم ووظائفه أنه عليه مدار النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وهذا بعد قرآني مهم جاء في مواضع مختلفة منها: أن تحقيق النفس المطمئنة يعني: الجوار في دار الكرامة: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ (الفجر: ٢٧ -٣٠)، وتحقيق القلب السليم يعني: النجاة يوم البعث كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ (الشعراء: ٨٧ – ٨٩) وقال تعالى: ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا**

Copyright © 2025 JCMS

﴿مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (ق: ٣١ – ٣٣) ، كون طريق الفلاح والتوفيق مرتبط بالتزكية قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩) وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (الأعلى: ١٤) وطريق الحياة الطيبة والعيشة الهنية التي يبحث عنها العالم الإنساني مرتبط بالتزكية قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)، وطريق البركة والنماء والرخاء الاقتصادي الذي تبحث عنه البشرية مرتبط بالمفهوم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦)، وطريق الهداية والاستقامة في تحقيق المفهوم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩)، وطريق الخلود الأبدي السرمدي في الجنة والبعد عن أصحاب الجحيم مرتبط بالمفهوم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٢) وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (الليل: ١٧، ١٨)، وطريق الحفظ والعناية والبعد عن أهل الشقاء والغواية مرتبط بالمفهوم قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه: ١٢٣)، وطريق من أنعم الله عليهم في تحقيق المفهوم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩)، وطريق الصلاح في تحقيق المفهوم ففي الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب. (البخاري، ١٩٩٣، ١/ ٢٢٥- ٢٢٦).

٤. من أبعاد المفهوم أن فقدانه وهجرانه يعني: (الخسارة والخذلان) في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ١٠) والعيشة الضنك قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (طه: ١٢٤، ١٢٥) ويعني: عمى البصر والصيرة قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٢) وموت القلب وانطماس بصيرته قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦)، والإنتقال من الإنسانية إلى الحيوانية،بل أقل درجة،

Copyright © 2025 JCMS

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩) والنزول إلى أسفل السافلين والتدني في المنزلة،قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين: ٤- ٦)، وإجمالاً الدخول في طريق المغضوب عليهم والضالين.

٥. من أبعاد المفهوم أنه يمثل طريق البناء الروحي والنفسي والوجداني للإنسان ولمجموع الأمة، ونحن في عصر أحوج ما نكون إلى هذا البناء، وذلك لصعوبة الواقع المعيش، وكثرة الفتن، والانفتاح غير المنضبط، وظهور الانحرافات،والسقوط في الغفلة والرزيلة، فإذا اهمل المفهوم فإن الخبث يكثر وفي ذلك الهلاك ودمار،وفي الحديث: «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث» (البخاري، ١٩٩٣، (٣/ ١٣١٧- ٣٤٠٣)، وأعظم ما يعصم الإنسان هو: خوفه ومعرفته بربه، ووقوفه على مداخل الشيطان، وخطورة نفسه الأمارة بالسوء، واتباع والهوي، والمفهوم يحقق كل هذه المعاني ويعمقها.

٦. من أبعاد المفهوم ووظائفه أنه يمثل: طريق البناء العقلي والفكري للإنسان ولمجموع الأمة، لأن مجالاته ليست محصورة في الجانب الروحي،بل هناك جوانب أخرى الجانب الفكري من أعمدتها،خاصة ونحن في زمن العولمة، حيث تعمل على محو التراث والهوية لتجعل أي أمة بلا ماض ولا حاضر ولا مستقبل، ليسهل بعد ذلك قيادها، فهي تنشر ثقافات ومضامين وفلسفات تخدم مشروعها،وخاصة فلسفة وثقافة الجنس والعنف، والتي تمثل الخطر الداهم على الأمم والشعوب، حيث الانحرافات العقدية والمفاهيمية التي تصادم الفطرة والعقل، فموجات الغزو الفكري على أشدها ونشر الأفكار الهدامة كالإلحاد الذي أصبح ظاهرة، والتهاون في إقامة الدين وشعائره، كل ذلك بسبب الخلل الفكري، لأن فساد العقل يعني: فساد الروح والقلب والنفس، وصلاحه يعني: صلاح كل شئ، فهو السيد والموجه.

والمفهوم عماده الأول: هو العقل حيث: العلم النافع، والفكر الواعي، والمفهوم يبني العقول بالعلوم والمعارف النافعة، حيث: العقيدة السليمة، وعلوم الشريعة، وعلوم السلوك والأخلاق، وكل علم نافع، وفقه مستنير، فالعلم قائد والعمل تابع وهما جناحان لا يطير طائر بغيرهما (العلم والعمل)، وهذا بدوره يحفظ الإنسان من الوقوع في براثن الجهل، والغلو، والتفلت، والإلحاد، والانحرافات،

Copyright © 2025 JCMS

والشبهات، لذا كان حاجة الواقع المعيش للمفهوم شديد فهو سفينة النجاة، وقد ثبت نجاحاه عبر عبر التاريخ، وما تهاهت الأمة إلا عندما غاب وضاعت معالمه وأهملت أبعاده وقدم ناقص مبتور مشوة بعيدة عن ينابيع الوحي الصافية والتي فيها الشفاء لكل داء قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الإسراء: ٨٢)، يقول ابن القيم في الداء والدواء:و"من" ها هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، فإن القرآن كله شفاء،فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب، فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن. (٢٠١٩ ص٦)

٧. من أبعاد المفهوم أنه طريق الاستخلاف فقوانين الله تعالى وسننه صارمه لا تحابي أحد ومن سننه في خلقه أنه لا يستخلف إلا أهل الصلاح قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ (الأنبياء: ١٠٥). وقال تعالى: ﴿**وعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (النور: ٥٥) وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ (الحج: ٤١). فالتمكين والاستخلاف لا يتحقق إلا لمن انتصروا على أنفسهم وخاضوا معارك ضارية معها فكراً وسلوكاً، فطهروها وزكوها وقوموها، عندها سهل عليهم مغالبة عدوهم، وإن كانوا قليل العدد والعدة، فأهل بدر لما انتصروا على أنفسهم وخصلت نفوسهم من نفوسهم كان النصر حليفهم، ولما حدث خلل وضعفت النفس يوم أحد، ويوم حنين وقعت الهزيمة،وهذا البعد في كل المعارك والمواقف إلى قيام الساعة،لأن النصر من عند الله يهبه للفئة المؤمنة الصادقة أينما وجدت وتحققت بمقوماته وشروطه، قال تعالى: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (الأنفال: ١٠) فمن يبحثون عن عز الإسلام وانتصاره والتمكين له،ل ابد لهم من تفعيل فقه التزكية والسلوك، وإلا ستظل الأمة تدور في حلقة مفرغة.

٨. من أبعاد المفهوم أنه ثمرة العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة، فما فائدة العبادات والعقائد إن لم يكن لهم أثر في الواقع المعيش، ولعل صدر سورة المؤمنون تعطي هذا الملمح بوضوح (المؤمنون: ١ - ١١)، فتجد أن هذه اللوحة القرآنية تمزج العقائد بالعبادات، والأخلاقيات والسلوكيات في نسيج

Copyright © 2025 JCMS

واحد، فلا إنفصال ولا إنفصام، فالأخلاق والقيم ثمرة العقيدة والعبادة، ولوحة آخرى تظهر هذا بجلاء وهي آيات سورة الفرقان (الفرقان: ٦٨ -٦٣) ويأتي المنهج القرآني في عرضه للعبادات بهذا البعد المهم، وذلك ببيان المقصد من أدائها، فالصلاة مقصدها أنها: ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، والصوم غايته: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، والزكاة: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣)، والحج مناسكه وشعائره قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ (الحج: ٣٧)، والغائية معلم بارز في كل التكاليف، وكل هذا يدور في فلك المفهوم ووظائفه، حيث التحقق بمعانيه، والإمام الغزالي لما كتب الأحياء ركز فيه على هذا البعد فيذكر العبادات وأسرارها ومقاصدها.

٩. من أبعاد المفهوم أنه لا يمكن أن يستغنى عنه أحد، حيث الحاجة إليه مستمرة (فالعاصي والطائع والجاهل والعالم والعابد والزاهد الكبير والصغير والمرأة الرجل)، و(الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والإنسانية)، الجميع في حاجة إليه يقول الغزالي: (كل الناس هلكى إلى العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فإذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبدا. (الغزالي، د.ت.، ٣ / ٤١٤)، بل أن أكثر أمراض القلوب تصيب العباد والزهاد والعلماء.

١٠. من أبعاد المفهوم أن واقعنا اليوم أشد حاجة إليه من أسلافنا، فظهور الفتن وكثرة الموبقات تجعله كالماء والهواء، فجواذب الأرض كثيرة، والواقع شديد الصعوبة، يحتاج إلى مضاضات قوية وفعاله، فالإنسان في هذه الأوضاع أشد حاجة لمعالجة روحه وعقله وقلبه ونفسه من سلفه، لأنهم كانوا يعيشون في بيئات وأجواء صالحة تعينهم على الحق والصبر، والوقت الراهن مغاير تماماً، فكل ما يحيط بالإنسان يريد إفساده وانحرافه عن طريق الله المستقيم، فالمدنية الحديثة رغم تقدمها إلا أنها تحمل هدم الذات الإنسانية بكل مشتملاته روحاً وفكراً وقلباً وعقلاً وسلوكاً، فهذا الواقع يحتاج إلى قوة إيمانية غير عادية.

١١. من أبعاد المفهوم أنه من أشرف العلوم والمعارف والأحوال، لأن بها يكون الوصول إلى غاية الغايات معرفة الله تبارك وتعالى ومحبته، يقول العلامة زروق الفاسي في قواعده:(العلم بفائدة الشئ ونتيجته باعث على التهمم به والأخذ في طلبه لتعلق النفس بما يفيده إن وافقها وإلا فعلى العكس، وقد صح أن شرف الشئ بشرف متعلقة، ولا أشرف من متعلق علم التصوف،ل أن مبدأه: خشية

Copyright © 2025 JCMS

الله التي هي نتيجة معرفته، ومقدمة اتباع أمره، وغايته: إفراد القلب له تعالى، فلذلك قال (الجنيد) لو علمت أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه . (٣٥-٣٦)

١٢. من أبعاد المفهوم إيجاد الفرد المستقيم والذي يعني: أسرة صالحة، ومجتمع صالح، وأمة قوية فتية، مؤهلة للاستخلاف، وهذا سيكون له الآثر الكبير على الإنسانية جمعاء، حيث استطاع الوحي بمنهجة التزكوي أن يخرج أفراداً صالحين، فالحضارة الإسلاميية أساسها مجموع هؤلاء الأفراد والذين أصبحوا بعد ذلك أمة لها كيان ونظام، كالبنيان المرصوص، تربوا في محاضن دار الأرقم، وقادوا سفينة العالم إلى الحضارة والعمران في فترة وجيزة من الزمان وظلت هذه المحاضن تخرج الآجيال الفريدة من القادة والعظماء والمصلحين والعلماء وعآمة أبناء الأمة، فلم يكن التعليم كما هو الآن مجرد معلومات وحشو، بل كان علم وعمل فكر وسلوك تربية وتهذيب، فمن أين خرج الأئمة الأفذاذ في الماضي والحاضر؟ إلا من محاضن التزكية والتربية والسلوك، والتي كان يشرف عليها علماء ربانيين راسخين في العلم والعمل والفكر والسلوك، جمعوا بين الشريعة والحقيقة، فلولاهم ما كانت هذه الأقمار والنجوم في سماء الأمة.

١٣. من أبعاد المفهوم أنه ليس مجرد نظريات وفلسفات وتأطير وتنظير، إنما هو تحقق ومعايشة، وعمل ومجاهدة، وتصفية وتنقية، ولا يؤتي المفهوم ثماره إلا بتحقيق أركانه وأصوله، وقواعده، ومجالاته، والغوص في ميادينه. حيث مجاهدة النفس وترقيتها بقربها من الله تعالى وحسن الخلق والوصول بالقلب والروح إلى مقامات العبودية بدوام المراقبة والخشية وتنمية العقل وترقيته بالعلم النافع والفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، علم يخرجه من الشكلية والحرفية إلى المقاصدية، حيث النظر إلى المآلات واستشراف المستقبل.

١٤. من أبعاد المفهوم أن تحقيق الريادة والشهادة والاستخلاف لا يتم إلا بمجموع الأمة، فمهما ترقى الفرد فإنه يعجز عن الوصول وتحقيق المراد، فلابد من تربية الأمة كلها، وهذا بعد في غاية الأهمية ومقصد قرآني، فكل المواضع التي تتحدث عن المفهوم جاءت بالبعدين الفردي(تزكى)، والجماعي (يزكيهم، ويزكيكم)، فالعمل على هذه المحاور يحتاج إلى جهد مؤسسي يدار بحكمة وحنكة وبراعة من خلال برامج ومناهج ذات أهداف واضحة ورؤية مستقبلية عميقة.

Copyright © 2025 JCMS

١٥. من أبعاد المفهوم ووظائفه تحقيق التدرج في البناء، فهو ينتقل بالإنسان مرحلة مرحلة، وفق خطوات واضحة ومنهجية محددة حتى يخرج الذات المستقيمة والأمة الصالحة، فهو يتعامل مع نفس بشرية لها طاقتها ومشاعرها وأحاسيسها، فلابد من التعامل بفقه ورفق وحرص، لأن أصعب شئ هو التعامل مع النفس البشرية وتغيرها.

وهو منهج الوحي، تقول السيدة عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن نزول القرآن فقالت: (إنما نزل من القرآن أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنى أبدا.) (البخاري١٩٩٣، ٤/ ١٩١٠: ٤٧٠٧)، فالوحي قد راعى سنة التدرج فيما يشرعه إيجاباً أو تحريماً، فتجده حين فرض الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة، فرضها على مراحل ودرجات حتى انتهت إلى الصور الأخيرة، فالصلاة فرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين، ثم أقرت في السفر على هذا العدد، وزيدت في الحضر إلى أربع أعني الظهر والعصر والعشاء. (القرضاوي، ١٩٩٦، ص ١٢٨). والمنهج النبوي راعى هذا المنهج في تربية الأمة فكان يتدرج مع الصحابة رضوان الله عليهم في تزكيتهم وتربيتهم وكان يوصيهم بهذا المنهج كما جاء في وصيته لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن.

١٦. من أبعاد المفهوم الدوام والاستمرار فهو لا يفارق الإنسان، فيبدأ معه من قبل مولده، بحسن اختيار كلاً من الزوجين، حيث صناعة البيئة الصالحة والمناخ الجيد، ويتدرج معه في مراحلة المختلفة (الطفولة..والمراهقة..والشباب..وباقي المراحل) إلى أن يلقى ربه بقلب سليم، قد حقق غاية وجوده في الحياة، وكذلك يستمر مع جموع الأمة إلى نهاية العالم، فهو جهاز مناعتها وسر قوتها ونهضتها وبقائها، فإذا ضعف اخترقتها الأمراض وانتهشتها الأعادي والواقع يشهد بذلك.

١٧. (١٧) من أبعاد المفهوم أنه ليس قاصر على الجانب الروحي، بل يهتم بكل الجوانب الإنسانية، حيث التكامل والتوازن، وهو المنهج النبوي، ومن خالفه فتزكيته مشوشة تخرج أشخاص مشوهين والواقع المعيش خير دليل، فالمدارس الإصلاحية التي لم تراعي هذا البعد منتجاتهم ومخرجاتهم ضعيفة لا تقوى على تحمل أعباء الاستخلاف.

١٨. من أبعاد المفهوم أنه لا يتحقق إلا بمجموعة من المقومات منها: الوعي بحقيقة النفس البشرية، وطبيعتها وميولها ورغباتها واتجاهاتها وأنماطها وهذا من جهتين الأولى: أن يلم المزكي نفسه بهذه

Copyright © 2025 JCMS

المعرفة حتى يعمل على علم وفقه، فمن عرف نفسه عرف ربه، والثانية: من يقومون بالعملية التزكوية من المرشدين والمربين، وهذا بعد مهم، فكيف يتعاملون مع مجهول لا يدركون ذاته وكنهه وحقيقته ومفاتيحه، فغياب هذا عند الطرفين يجعله لا يحقق أهداف المفهوم.

١٩. من أبعاد المفهوم أنه يحتاج إلى حسن اتباع للوحي وللمنهج النبوي ويتطلب صبراً ومجاهداً وإخلاصاً وتجرداً وتوفيقاً ومدداً، يقول ابن القيم:"وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجئ بها الرسل فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه دون معرفة الطبيب فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى صلاحها وتزكيتها إلا على أيديهم، وبمحض الانقياد والتسليم لهم". (ابن القيم، ١٩٩٦، ٢/ ٣٠٠)

٢٠. من أبعاد المفهوم العمق والتركيز نحو الهدف، فه يرفض كل أشكال السطحية والحرفية، بل يغوص في أغوار النفس البشرية لتهذيبها وتنميتها، وينزل إلى العمق الفكري والروحي والقلبي وتجول وتصول داخل الذات الإنسانية حتى يصنع ذاتاً سوية تتحمل المتاعب وتثبت أمام التحديات. ولعل الوحي قص علينا نماذج تأصلت فيها هذه المعاني فما وهنت لما أصابها في سبيل الله وما استكانت، ومواقف الثبات في حياة الأمة لا تحصى، وهذا يدل على هذا العمق التزكوي، أما من تزكوا بمنهج الحرفية والسطحية والاستعجال فهم لا يثبتون ويسقطون من أول جولة لهشاشتهم وعدم معايشتهم للوحي ومقاصده وإدراك المنهج السنني والقصصي وحياة الصحابة والمصلحين عبر التاريخ، وهذا بعد مهم في تحقيق المفهوم.

٢١. من أبعاد المفهوم أنه الطريق الوحيد لتكوين الأمة الشاهدة، فهي تحتاج إلى مقومات للاستخلاف، وتحقيق العمران، وهذه المقومات تكمن في (القوة النفسية.. والروحية.. والفكرية ..والإرادة.. والعزيمة القوية.. والإيمان الراسخ.. والثبات على المبدأ) والذي لا يحيد عنه صاحبه مهما كانت التحديات والعقبات، وهذه المقومات هدف ومقصد المنهجية التزكوية، حيث تقوي (النفس والروح والعقل والقلب) وبقوتهم تتحقق كل المقومات.

٢٢. من أبعاد المفهوم عودة صفاء الفطرة البشرية وإذكاء روح التوحيد فيها من خلال التعرف على الخالق عز وجل بدوام التدبر والنظر في الكتاب المفتوح (الكون)، والكتاب المقرؤ (الوحي)، والجمع بين القرائتين للوصول إلى المعرفة الحقيقية واليقينية الصافية النقية البعيدة عن صور الغلو والتفلت. وهذا بدوره سيحرك في النفس محبتها لخالقها، حيث المعرفة الحقيقية للخالق تولد المحبة

Copyright © 2025 JCMS

الصادقة، وهي بدورها تولد الطاعة والانقياد والتسليم، فيقوم المحب المتعلق بربه ومعبوده فيحقق كل ما هو مطلوب من الأوامر والتكاليف حتى يراه الله عز وجل حيث أمره، ويفتقده حيث نهاه، فينضبط بتعاليم الوحي ويرتقي في سلم العبودية والواراثة النبوية ومنازل السائرين، فيحقق التقوى والإحسان والشكر، وعندها يكون أهلاً للاستخلاف. وبهذه النفوس المزكاة تعود للأمة ريادتها وتحقق رسالتها وتكون أهلاً للشهادة والريادة، هذا هو مراد الوحي من المفهوم، حيث الإرتقاء بالفرد والأمة، وتحقيق مقومات الاستخلاف، وبهذا العمق للمفهوم عاشت الأمة فسادت العالم وكانت الأولى في كل شئ في العلم والعمل دنيا ودين، وما ضعفت وما وهنت إلا عندما بعدت عن الوحي فهماً وسلوكاً ومنهجاً.

٢٣. من أبعاد المفهوم أن من يقوم به سواء على المسار الفردي أو الجماعي، لابد أن يكون من الورثة الكاملين للمنهج النبوي ومن الخبراء العارفين بطرقه ووسائله وأساليبه وأصوله وقواعده ومناهجه، صاحب علم وفقه ودربة، طبيب للنفوس عارف بأدوائها وعللها يتميز بالإفادة العلمية والتربية الروحية، متحقق بمقامات العبودية وريان بها، سار في الطريق علماً وعملاً فيعرف معالمه وضروبه، شهد له الثقات بالعلم ولبعمل والفضل والرسوخ، صاحب بصيرة ومكاشفة، رباني كما وصفه القرآن فقال: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُم تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُم تَدۡرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩)، وهذا البعد مهم ولا يتحقق المفهوم إلا به، وهو يتطلب صناعة الربانيين صناعة علمية وعملية فكرية وسلوكية في محاضن خاصة لأنهم الركبان والقادة، وهذا منهج الوحي فالله تعالى زكى نبيه وهو صلى الله عليه وسلم زكى أصحابه، وسلسلة التلقي التزكوي ظلت تعمل حتى خرجت الأمة التي زكت العالم، وقدمت له أنموذجاً علمي وعملي فريد، أما أن تسير الأمور بعشوائية، كل يعمل بالطريقة التي تناسب هواه لا بطريقة الوحي ومنهجه، وتصبح الأمة يتيمة بلا مرشدين ولا مربين ولاموجهين يتطلقون من رؤية الوحي والمنهج النبوي فهذا نذير خطر وطريق نتيجته معلومة والواقع المعيش خير شاهد.

وخلاصة القول فإنالمفهوم يعني صناعة الإنسان الصالح... والأمة الشاهدة، ونحن اليوم إذا أردنا عودة حضارتنا لمنصة القيادة والتوجية فلا بد من صناعة رواد ورواحل يحققون المفهوم على أرض الواقع، ويعيدون دار الأرقم بمفهومها الشامل المتوازن المتكامل وتربية الجيل والعودة به إلى الينابيع الصافية روحاً وفكراً وسلوكاً، أم التخبط والعشوائية في الفكر والسلوك والمنهج وضياع الآوقات والأعمار والآجيال،

Copyright © 2025 JCMS

فإن الأمة تفقد كل يوم جزء من رسالتها وكيانها، ولذلك فإن المفهوم هو البداية ..والنهاية... وعمود خيمتنا.. وعماد نهضتنا... وسر قوتنا.

الخاتمة

المفهوم يعتبر من أهم المقاصد العليا والحاكمة للوحي، وهو عملية تهدف إلى تنمية الذات الإنسانية والترقي بها فكرياً وروحياً ومادياً لتأهيلها للغاية التي خلقت من أجلها، وهي العبادة والعمارة. والمفهوم له أبعاده ووظائفه فهو يشمل تكوين الفرد الصالح وصناعة أمة الريادة والشهادة بمنهجية شاملة ومتكاملة ومتوازنة ومتدرجة. وعليه فقد أصبح المفهوم أمراً ملحاً يحتاج إلى من يحققه في الواقع المعيش بالصورة التي حددها الوحي، وطبقتها المنهجية النبوية بتفعيل كل المسارات والمحاضن والمؤسسات التربوية والدعوية والتعليمية والمجتمعية وكل المهتمين بهذا الشأن.

العمل على التأطير والتنظير للمفهوم في صورة مشاريع وبرامج قابلة للتطبيق والعودة إلى النموذج القرآني والنبوي والحضاري في التعامل معه وإقامة بيوت خبرة لدراسته وتفعيله ورصد الظواهر والأسباب والعلاج لأي خلل يصيبه ويطرأ عليه واستغلال كل فرصة للوصول إلى تحقيقه في واقع الأمة.

Copyright © 2025 JCMS

References

Al-Abdul Latif, A. A. (1414). *Landmarks in Behavior and Purification of Souls.* Dar Al-Watan.

Al-Ansari, F. (2009). *The Eloquence of the Quranic Message: A Vision of the Verses of the Path.*

Al-Farahidi, K. A. (n.d.) *Al-Ain.* Dar and Library of Al-Hilal.

Al-Ghazali, A. H. (n.d.) *The Revival of the Religious Sciences.* Dar Al-Ma'rifa.

Al-Ghazali, M. (n.d.) *The Arrows of Truth.* Dar Al-Qalam.

Al-Jilani, A. (n.d.) *Al-Ghaniya.* Dar Al-Albab.

Al-Kafwi, A. (n.d.) *Al-Kulliyyat.* Al-Risalah Foundation.

Al-Najjar, M. (2019). The Objectives of the Qur'an in Purifying Man. *Islamic Knowledge Magazine,* 24(95).

Al-Qaradawi, Y. (1996). *An Introduction to Knowing Islam.* Wahba Library.

Al-Qushayri, A. *The Qushayri Epistle.* Dar Al-Ma'arif.

Al-Raghib Al-Isfahani, I. (1991). *The Vocabulary of the Strange in the Quran.* Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya.

Al-Rahmani Al-Mubarakfuri, S. (1984). *The Pasture of the Keys: An Explanation of Mishkat al-Masabih.* Scientific Research, Call and Iftaa Administration, Salafi University.

Al-Sayed, A. (2009). *Islamic Education: Its Origins, Method, and Teacher.* Al-Maktaba Al-Shamela.

Al-Shawkani, M. A. (1991). *Fath Al-Qadir.* Dar Al-Khair.

Bukhari, M. I. (1993). *Sahih.* Dar Ibn Kathir, Dar Al-Yamamah.

Hawa, O. (1999). *Our Spiritual Education.* Dar Al-Salam for Printing, Publishing, and Distribution.

Ibn al-Athir, I. (1979). *The End of the Strange Hadith and Trace.* Scientific Library.

Ibn Faris, I. (1979). *Measures of Language.* Dar al-Fikr.

Ibn Qayyim al-Jawziyyah (1431), I. *The Key to the House of Happiness and the Manuscript of the State of Knowledge and Will.* Dar al-Kutub al-Ilmiyah.

Ibn Qayyim al-Jawziyyah (1996), I. *The Stages of the Seekers.* Dar al-Kitab al-Arabi.

Ibn Qayyim al-Jawziyyah (2019), I. *The Path of the Two Migrations and the Gate of the Two Felicities.* Dar Ataaat al-Ilm, Dar Ibn Hazm.

Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, I. (2019). *The Disease and the Cure.* Dar Ataaat Al-Ilm, Dar Ibn Hazm.

Ibn Taymiyyah, I. (2004). *Collection of Fatwas.* King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an.

Copyright © 2025 JCMS

Muhammad Qutb, M. (1976). *The Method of Islamic Education*. Dar Al-Shorouk Edition.

Muslim, I. (1955). *Sahih*. Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi.

Omar, A. H. (2008). *Dictionary of Contemporary Arabic Language*. Alam Al-Kutub.

Sayyid Qutb, S. (1986). *In the Shade of the Quran*. Dar Al-Shorouk Edition.

The Arabic Language Academy. *The Intermediate Dictionary*. The Arabic Language Academy.

Zarrouk, A. *The Rules of Sufism and Evidences of Recognition*. Arab Center for Books Edition.

Copyright © 2025 JCMS

Copyright © 2025 JCMS